

39

القصص النبوية

الجزء الثالث

النبي الملك

داود

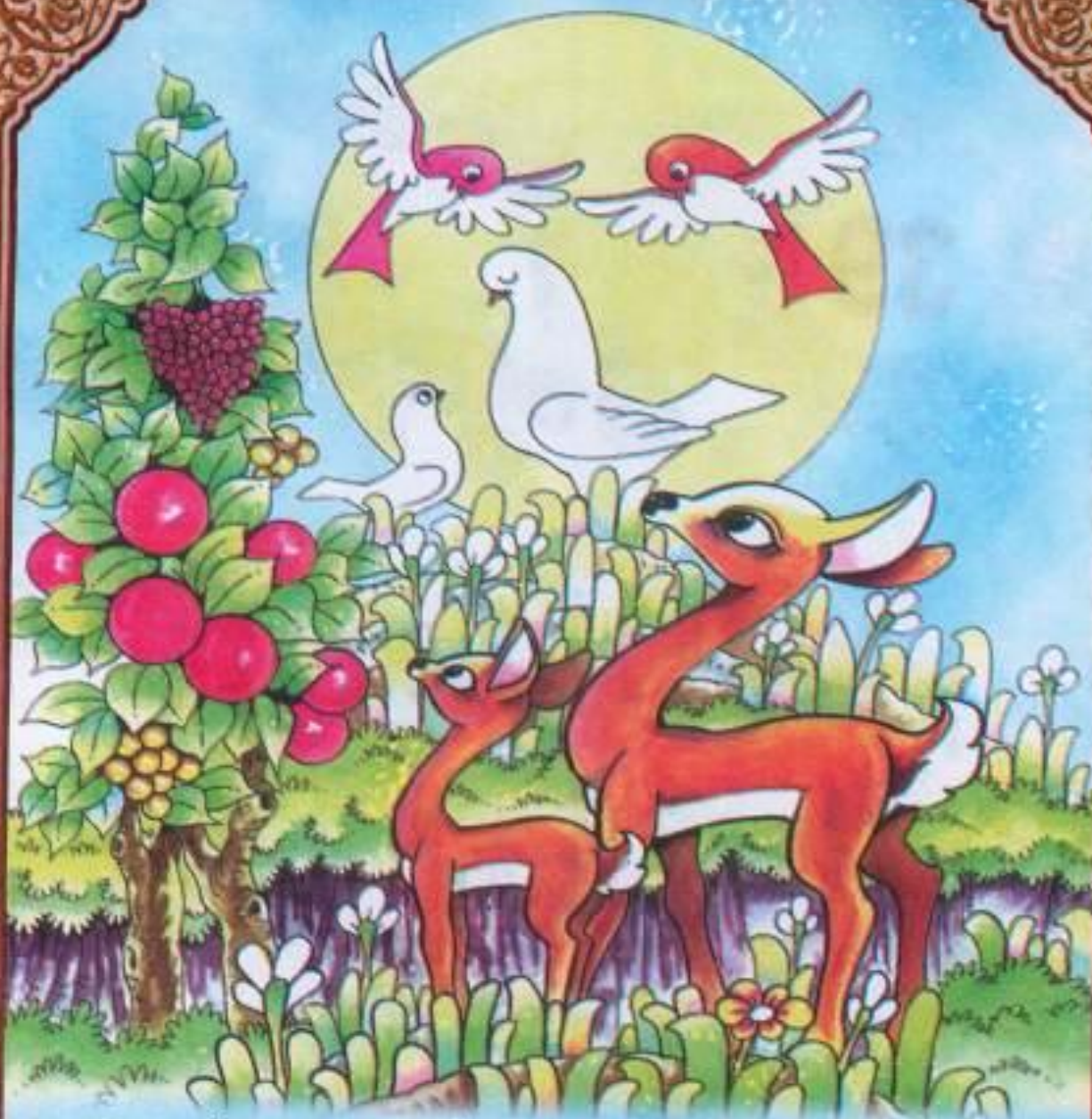
الملك

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى





تَوَلَّى دَاوُدُ ﷺ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ وَفَاةِ
طَالُوتَ .. اخْتَارَهُ الشَّعْبُ الَّذِي أَحَبَّهُ وَاحْتَرَمَهُ ، بَعْدَ
أَنْ قَتَلَ عَدُوَّهُ جَالُوتَ ..

آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، كَمَا
آتَاهُ مِنْ عِلْمِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَهُ سُبْحَانَهُ ..

وَهَكَذَا جَمَعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَالنُّبُوَّةِ ..

فَهُوَ الْمَلِكُ النَّبِيُّ ، أَوِ النَّبِيُّ الْمَلِكُ ..

وَقَبْلَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْمَلِكُ فِي سَبْطٍ وَالنُّبُوَّةُ فِي
سَبْطٍ آخَرَ ، فَجَمَعَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ بَيْنَ خَيْرِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِعَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَدَدًا مِنَ النِّعَمِ ..

مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَخَّرَ الْجِبَالَ
وَالطَّيُورَ لِتُسَبِّحَ مَعَهُ ..

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقِيًّا حَسَنَ الصَّوْتِ ..
وَاتَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - الزَّبُورَ ، وَهُوَ كِتَابٌ مُقَدَّسٌ
كَالتَّوْرَةِ ..

فَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ مِنْ كِتَابِهِ مُرْتَلًّا
بِصَوْتِهِ الْجَمِيلِ رَدَّدَتْ مَعَهُ الْجِبَالُ وَالطَّيْرُ
تُسَبِّحُهُ لِلَّهِ - تَعَالَى - ..

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ

وَالطَّيْرَ ﴾ [الآيَة ١٠ من سورة سبأ]

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

فَاعِلِينَ ﴾ [الآيَة ٧٩ من سورة الأنبياء]

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا

الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ

مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴾ [الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص]

وَالْمَقْصُودُ بِالْأَيْدِ هُنَا هُوَ الْقُوَّةُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ،

فَقَدْ كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَا قُوَّةٍ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ،

وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ..

كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُومُ اللَّيْلَ مُتَعَبِّدًا لِلَّهِ - تَعَالَى - ،

وَكَانَ يَصُومُ نَصْفَ الْعَامِ .. أَيْ أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ
يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَصُومُ نَصْفَ الْعَامِ ..
يَصِفُ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عِبَادَةَ النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَيَقُولُ :

« أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ
إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَنَامُ نَصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ،
وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفِرُّ
إِذَا لَاقَى »

أَيْ لَا يَفِرُّ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ إِذَا لَاقَى الْأَعْدَاءَ ، وَإِنَّمَا
يَثْبِتُ لِلْقَائِمِهِمْ ..

وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ دَاوُدَ ﷺ الصَّوْتِ الْعَظِيمِ
الْحَسَنَ ، مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا ، فَقَدْ كَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِقِرَاءَةِ
الزَّبُورِ ، يَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ يَرُدُّ صَوْتَهُ ، وَيَسْبَحُ
بِتَسْبِيحِهِ .. وَكَذَلِكَ كَانَتْ الْجِبَالُ تُرَدِّدُ صَوْتَهُ
وَتُسَبِّحُ مَعَهُ كُلَّمَا سَبَّحَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، أَيْ عِنْدَ أَوَّلِ
النَّهَارِ ، وَفِي آخِرِهِ ..

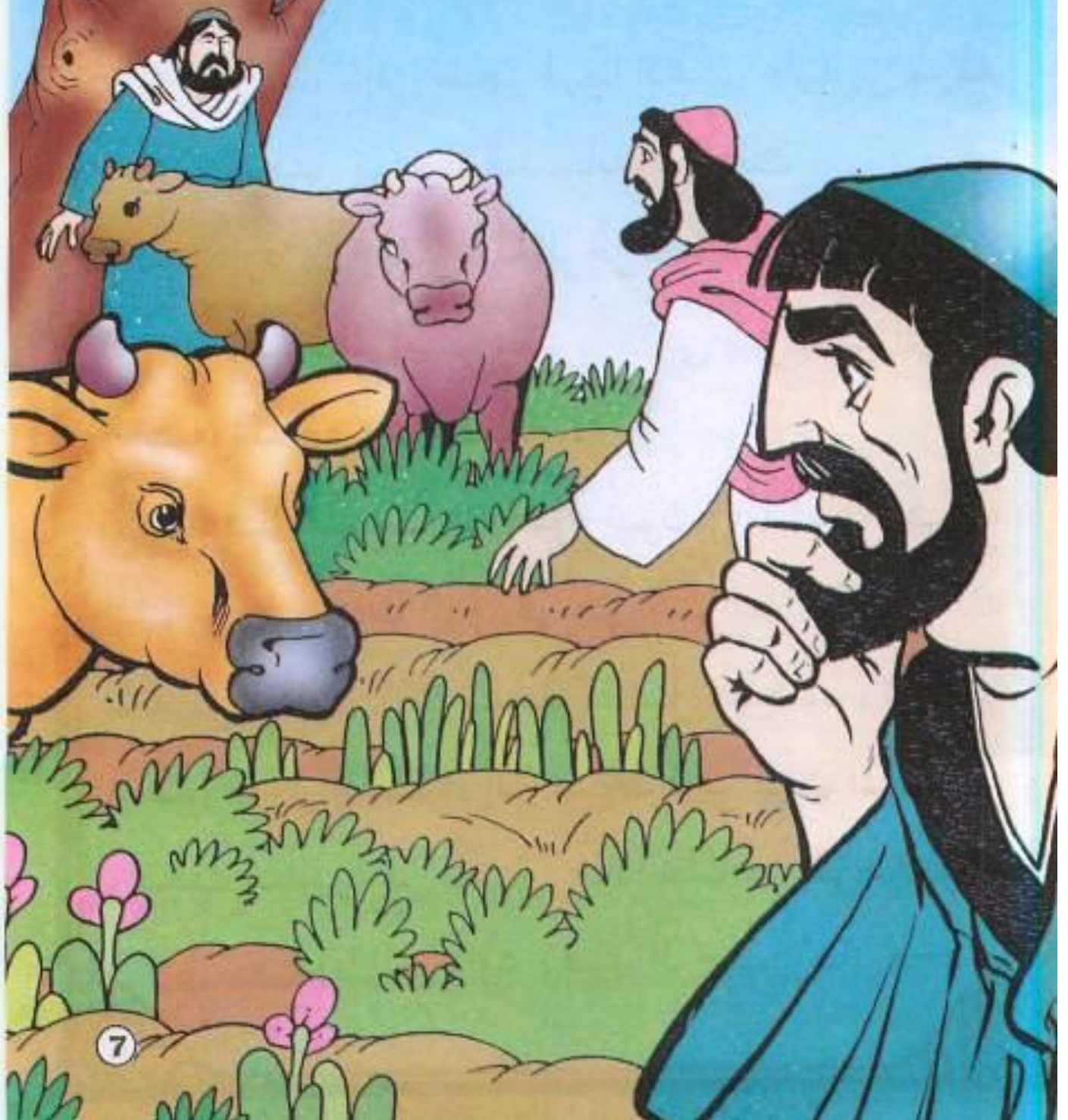
وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْ حُسْنِ صَوْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُسْنِ
تَرْتِيلِهِ ، وَخُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَتَّلَ ،
تَجَمَّعَتْ حَوْلَهُ الطَّيْرُ وَالْوَحُوشُ ، فَيَمُضِي الْوَقْتُ بِهَا
دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا كَانَ يَكَادُ يَمُوتُ
عَطْشًا وَجُوعًا ، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِذَلِكَ ..
وَكَانَتْ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ تَنْصِتُ لَهُ بِخُشُوعٍ مِنْ شِدَّةِ
خُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ..

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ صَوْتِهِ وَتَسْبِيحِهِ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ
لِلزَّبُورِ .. وَالزَّبُورُ كِتَابُ سَمَاوِيٍّ يَحْتَوِي عَلَى الْحُكْمِ
وَالْمَوَاعِظِ ..

وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مُلْكًا عَظِيمًا ، وَحُكْمًا نَافِذًا ..

جَاءَ رَجُلَانِ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَادَّعَى أَحَدُهُمَا عَلَى
الْآخَرِ ، أَنَّهُ اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرًا ، فَأَنْكَرَ الْمَدْعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ
اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرَهُ ، وَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْرِ
الْبَقْرِ ، فَأَجَّلَ دَاوُدُ النَّظَرَ فِي أَمْرِهِمَا إِلَى اللَّيْلِ ..

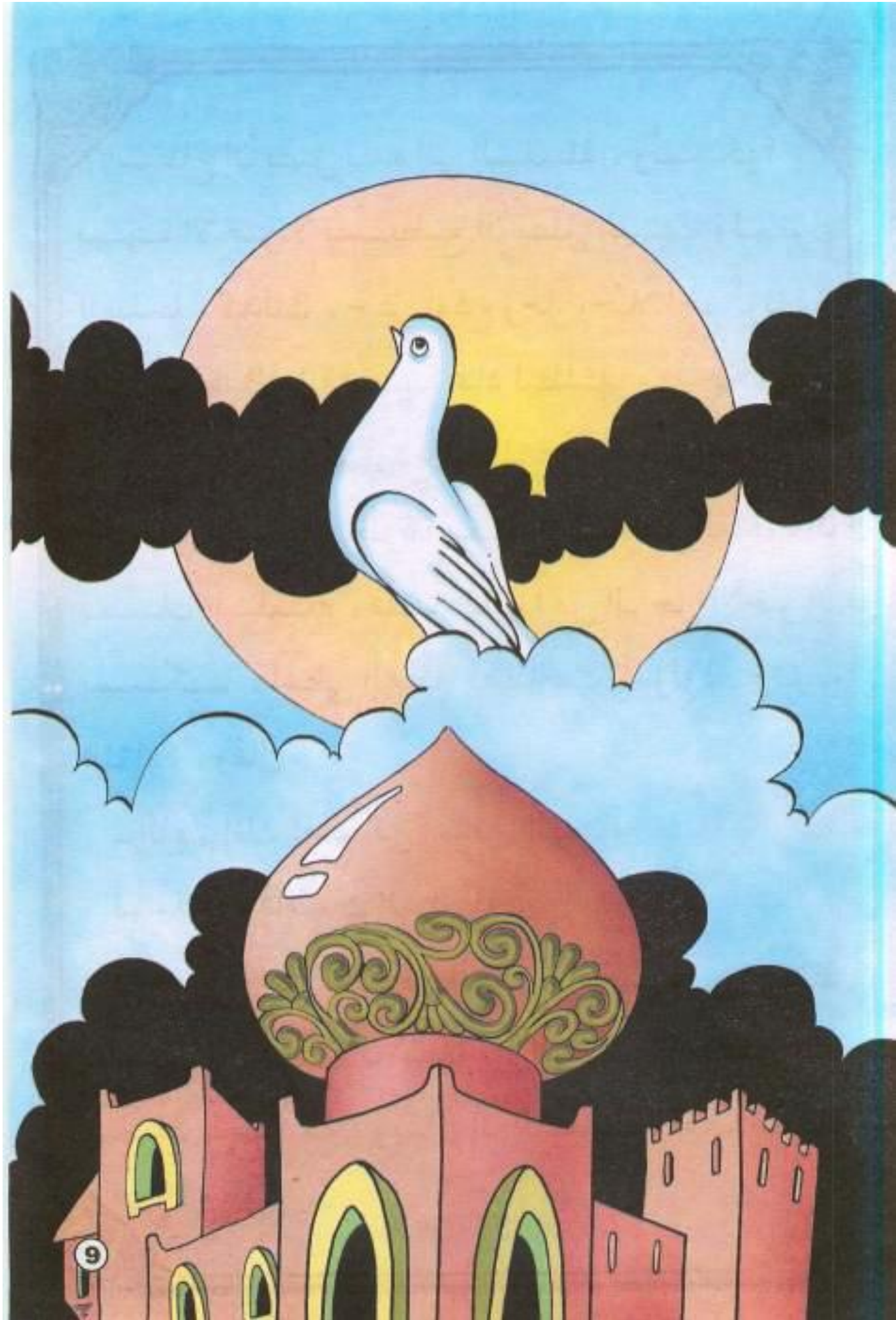
فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ ، أَوْحَى اللَّهُ
- تَعَالَى - إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ
يَقْتُلَ الْمُدْعَى ..



فَلَمَّا أَصْبَحَ الصُّبْحُ ، قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُدْعَى :
- إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ أَقْتُلَكَ ، فَأَنَا قَاتِلُكَ لَا مَحَالَةَ ،
فَمَا خَبْرُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَهُ عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ سَرِقَةٍ بِقَرِكَ ؟
فَقَالَ الرَّجُلُ :

- يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي لَمُحِقٌّ فِيمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ سَرِقَةٍ
بِقَرِي ، وَلَكِنِّي كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ..
فَأَمَرَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ قِصَاصًا عَادِلًا لِقَتْلِهِ أَبَا
الرَّجُلِ ، فَعَظُمَ أَمْرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
وَحَضَعُوا لَهُ خُضُوعًا عَظِيمًا ..

وَقَدْ قَالَ الْمَفْسِرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ : إِنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ
الشُّرُورُ وَشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَعْطَى اللَّهُ
- تَعَالَى - دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِلْسِلَةً لِفَصْلِ الْقِضَاءِ ، فَكَانَتْ
مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةٍ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،
وَكَانَتْ سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلَانِ فِي
حَقٍّ ، وَجَاءَا إِلَى دَاوُدَ ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ مُحِقًّا



استطاع أن يصل بيده إلى السلسلة ، ويمسكها ،
بينما الآخر لا يستطيع أن يصل إليها ولم تنزل
السلسلة كذلك ، حتى أودع رجل رجلاً آخر للؤلؤة ،
على سبيل الأمانة ، فلما عاد ليطلبها منه جردها ،
وأنكرها منه .. ثم أودع اللؤلؤة في عكازه ، فلما
حضرًا عند الصخرة استطاع صاحب اللؤلؤة أن
يمسك السلسلة ، فلما طلبوا من الرجل الآخر أن
يمسكها ، أعطى العكاز لصاحب اللؤلؤة ، وفيه
اللؤلؤة ، وقال :

— اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعَدْتُهَا إِلَيْهِ ..

ثم مدَّ يده فأمسك السلسلة .

فوقع بنو إسرائيل في الشك والحيرة ، واختلط
عليهم الأمر ، لأنَّ كلاً من الرجلين استطاع أن
يمسك السلسلة ، ويقال إنَّ السلسلة رفعت سريعاً
من بينهم ..

وَمِنْ نَعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ .. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي قُرْآنِهِ
الْمَجِيدِ :

﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي
السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الآية ١٠ من سورة سبأ]

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ : إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ جَعَلَ
الْحَدِيدَ فِي يَدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَهْلًا لَيْنًا كَالشَّمْعِ
يُشَكِّلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، بِدُونِ تَسْخِينٍ أَوْ صَهْرٍ أَوْ
طَرَقٍ بِالْمِطَارِقِ .. وَأَمَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ يَسْتَغْلِ
هَذِهِ الْمِيزَةَ فِي صِنَاعَةِ مُفِيدَةٍ ، وَهِيَ صِنَاعَةُ الدَّرُوعِ ،
كَيَّ يَلْبَسُهَا الْجُنُودُ ، وَيَخْرُجُوا لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- تَعَالَى - وَقِتَالَ أَعْدَائِهِ ..

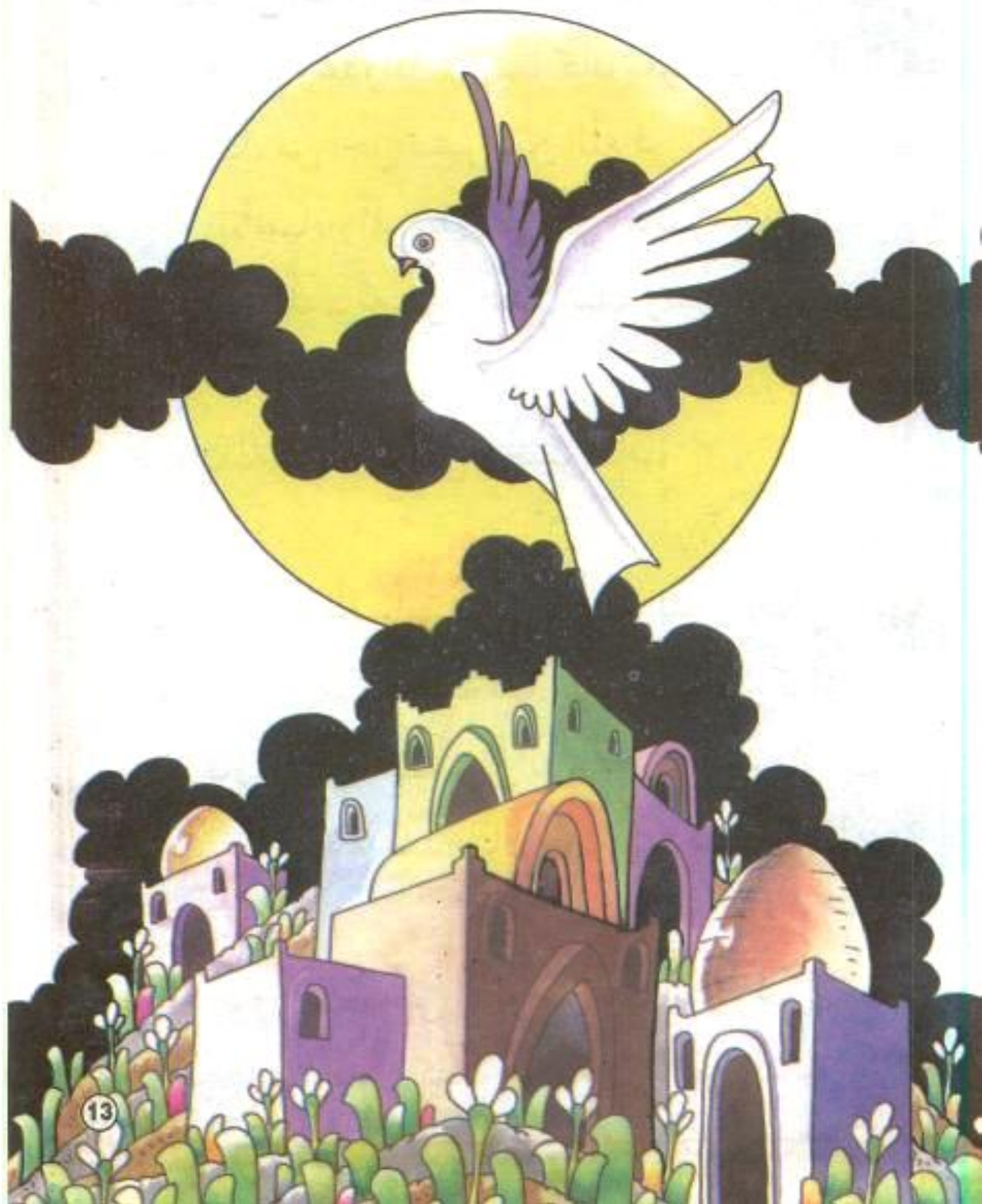
وَقَدْ كَانَتْ الدَّرُوعُ قَبْلَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُصْنَعُ مِنْ صَفَائِحَ
مِنَ الْحَدِيدِ ، وَكَانَتْ ثَقِيلَةً جِدًّا تَعُوقُ الْمُحَارِبَ

عَنْ أَدَاءِ عَمَلِهِ بِكَفَاءَةٍ لِأَنَّهَا تَقِيدُ حَرَكَتَهُ ، كَمَا
أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَقِي لِابْسِهَا مِنْ ضَرَبَاتِ السُّيُوفِ
وَالْحِرَابِ وَالْفُؤُوسِ ..

أَمَّا الدَّرُوعُ الَّتِي صَنَعَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ كَانَتْ خَفِيفَةً
وَمَتِينَةً ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْسُجُهَا مِنْ حَلَقَاتٍ مِنَ الْحَدِيدِ ،
يَقُومُ بِتَشْكِيلِهَا بِيَدِهِ ، مُسْتَغْلًا مِيزَةَ إِلَانَةِ الْحَدِيدِ بَيْنَ
يَدَيْهِ .. وَقَدْ كَانَتْ الدَّرُوعُ الْمَسْرُودَةُ (أَيْ الَّتِي تَنْسُجُ
مِنْ حَلَقَاتٍ يُرَكَّبُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ) وَالَّتِي كَانَ دَاوُدُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصْنَعُهَا أَخْفَ وَزْنَ ، وَأَكْثَرَ قُوَّةً وَمَتَانَةً ، فَلَا تُؤَثِّرُ
فِيهَا ضَرَبَاتُ الْأَسْلِحَةِ ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ تُمَكِّنُ
لِابْسِهَا مِنْ حُرِّيَّةِ الْحَرَكَةِ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ ..

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ،
بِرَغْمِ أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا ، وَمَلِكًا عَلَى مَمْلَكَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ..
وَقَدْ كَانَ عَمَلُهُ هُوَ صِنَاعَةُ الدَّرُوعِ ، فَكَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ دِرْعًا ، وَيَبِيعُهُ فَيَأْكُلُ مِنْهُ هُوَ وَأَهْلُهُ ..

وَقَدْ كَانَتْ صِنَاعَةُ الدَّرُوعِ الْخَفِيفَةِ الْمَتِينَةِ عَلَى يَدِ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَسْلِيحُهُ الْجَيْشَ بِهَا سَبَبًا فِي قُوَّةِ جَيْشِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ



فَلَمْ يَدْخُلْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعْرَكَةً وَخَسِرَهَا ، وَكَانَ
 ذَلِكَ يَجْعَلُ أَعْدَاءَهُ يَهَابُونَهُ .. وَلَمْ يَكُنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 يُحَارِبُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، وَإِنَّمَا كَانَ يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 - تَعَالَى - ، مِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .. وَهَذَا
 هُوَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ..
 وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 فَقَالَ :

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

[الْآيَةُ ٢٥ سُورَةُ ص]

أَيُّ أَنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَى يَقْرِبُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهَا
 مِنْ عَرْشِهِ ، وَيَفِيضُ عَلَيْهِ بِهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ..
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ لِهَذِهِ الْآيَةِ : إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ :

- « يَا دَاوُدَ مَجْدُنِي الْيَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ
 الرَّخِيمِ ، الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ فِي الدُّنْيَا »

فَيَقُولُ دَاوُدُ :

- كَيْفَ يَا رَبِّ ، وَقَدْ سَلَبْتَهُ ؟ !

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

- « إِنِّي أَرَدُّهُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ »

فَيَرْتَفِعُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَوْتِهِ مُمَجِّدًا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ..

وَقَدْ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخَاطِبًا اللَّهَ - تَعَالَى - ذَاتَ يَوْمٍ :

- يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ ؟ ! أَنَا لَا أَصِلُ إِلَى

شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ ..

فَأَتَاهُ الْوَحْيُ :

- « يَا دَاوُدُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النُّعْمِ مِنِّي ؟ ! »

فَقَالَ دَاوُدُ :

- بَلَى يَا رَبِّ ..

فَخَاطَبَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - قَائِلًا :

- « فَإِنِّي أَرْضِي بِذَلِكَ مِنْكَ » ..

(تَمَّتْ)

قصص الأنبياء



الكتاب التالي
داود عليه السلام
(٤) قاضياً
أحرص على اقتنائه

16

رقم الإيداع: ٢١٦٢

الترقيم الدولي: ٢١ - ٢٨٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧